بين العلماء ..... والغُثاء!

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [الزمر: ٩] ويقول تعالى: ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾ [ص: ٢٨].

في صدرِ هذا القرن؛ قاد الأمة رجالٌ قلائل، ولكنهم كالجبال الأعلام، كشيخنا الإمام عبدالعزيز بن باز، والشيخ الألباني، وشيخنا محمد بن صالح العثيمين رحمهم الله تعالى.

فاجتمعت تحت لواء علمهم الأمة، واتفقت القلوب، وانتشر العلم، وعُظّمت السنة، ودخل الناس في دين الله تعالى أفواجاً، في بلاد العرب والعجم.

ثم قبضهم الله تعالى إليه، وهكذا يُقبض العلم، فاتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فتربعوا على عروش الإعلام، ومقاعد الشهرة، فضَلُّوا وأضَلُّوا، فدعوهم إلى البدع، وقرّبوهم من أهل الضلال كالرافضة والصوفية وغيرهم، وساقوهم إلى صراع الحكومات، ودماء الثورات، وقالوا: فليموتوا! وتمزَّقت بهم الأمة، وانتشر الجهل، وظهرت الزندقة، وتسلل إلى ديار المسلمين العدو، وغاب الأمن، وفشى القتل.

فاللهُ حسب المؤمنين منهم وهو نعم الوكيل، فكم جروا العظائم على الدين والدم والمال والعرض والعقول؟

والله ما نصروا ديناً، ولا كسروا عدوّاً، ولا نشروا سنةً، ولا قمعوا بدعة.

وإني لأسمع درساً لشيخنا ابن باز رحمه الله تعالى، ثم أسمع لأحد أئمة الضلال اليوم، فأقرأ قول الله تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ**﴾ [فاطر: ١٢].

وعندما أتأمل استقرار الفتوى في زمان أولئك الأئمة، وعلماء الأمة، واطمئنان الناس بها، ثم أتأمل تخبطها اليوم، وغرائب الأقوال، وتخبط الأهواء، التفت بقلبي إلى

قول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٤].

لقد كان أولئك الأئمة وأمثالهم: أمَنة لأهل الأرض، بعلمهم وصلاحهم، تكشف المعضلات، وتنقض الشبه، وتنتشر السنة، وتتفق الصفوف والقلوب.

فجاء زمان الأئمة المضلين، الذين خاف علينا منهم النبي صلى الله عليه وسلم كما روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**».

يا أيها النـــاظر:

لا تُتعب نفسك! فإني رأيتُ الأمر هو:

الصدق والإخلاص والاتباع، وأخذ الدين من جميع نواحيه لا بالهوى والنفسِ والشيطان!

فلا تُخدع بمجرد الشهرةِ والظُّهورِ! فَهَا أنت تَرَى مَنْ وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالرؤوس والأئمة وهم: **ضالون مُضلّون**.

فلن نخدع بهذا فقط!

ولن تخـــدعنا:

فصاحةُ اللسان، وبلاغة الكلمة، وقد قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤] وحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من: «**كل منافق عليم اللسان**» وقال عن الخوارج: «يقولون من خير قول البرية!».

ولن يخـــدعـونا:

بلباس الزهد والتقشف والعبادة فقط! وقد قال تعالى عن قومٍ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٢ - ٤] وأخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن الخوارج بأن خيرة خلق الله وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم: **يحقرون صلاتهم مع صلاتهم وصيامهم مع صيامهم**.

ولن يخــدعونا:

بمجرد قراءة القرآن ولو تقطعت منهم الحناجر! وقد أخبرنا الله تعالى بأن من عباد الله تعالى من يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً، وأخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بأن الخوارج: **يقيمون حروفه، ويحسنون تلاوته، وهو لا يجاوز تراقيهم.**

ولن يخدعــونا:

بحلاوة الكلام، والتظاهر بالتدين أمام الأعين! وهم يختلون الدُّنيا بالدِّين! ويتكسبون باللحى، ومكانتهم بين الناس، وقد جاء في الحديث عند الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**يكون في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله تعالى: أبي يغترون، أم علي يجترئون؟ فبي حلفت، لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم حيران**» .

ورواية ابن عمر عنده أخصر من هذه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الله قال: لقد خلقت خلقا ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، فبي حلفت: لأتيحنهم فتنة تدع الحليم منهم حيران، فبي يغترون، أم علي يجترئون؟**».

لن يخدعــونا:

بدعوى اتباع الصالحين وهم منهم براء! فقد كانت السحرة تزعم اتباعها لسليمان عليه السلام، فقال الله تعالى: (**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ**) [البقرة: ١٠٢] وزعم اليهود والنصارى أن إبراهيم عليه السلام منهم فقال الله تعالى: (**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) [آل عمران: ٦٧].

نعم؛ للزهد والورع، والبلاغة والبيان، والعبادة والخشوع، وقراءة القرآن وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، والانتساب للصالحين، ولكن مع: صدق الاتباع، وحقيقة الإخلاص، وتعظيم شعائر الله، والنصح لله ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم.

فيا معاشر المسلمين، ويا أهل العلم؛ الدين جدٌّ ليس بالهزل، أعيدوا للعلم هيبته، وللفقه سلطانه، وللزهد حقيقته، وللصدق برهانه، لكي يهاب الناس العلماء، وتنقطع من دونهم أطماع أهل الدنيا والسفاهة، ولا يجدوا عليهم مسلكا.

ابتعدوا عن سفاسف الأخلاق، وقبائح العبارات، ومنقصات العقل، والاستشراف للدنيا، وإقحام مطالبها تحت رايات الدين!

عليكم بالسنة، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور، فإنّ كلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، هكذا قال نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم.

أطلقوا ربقة الحزبية المقيتة، وفكوا الرقاب من قيدوها، وعليكم بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فهو المؤسس الأول لجماعة المسلمين، وهو الإمام الحق، والذي لا يجوز أن نخرج عن قوله ومنهجه، وانضموا إلى جماعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أولئك خيرٌ وأهدى سبيلاً من الطرائق الحزبية اللعينة التي مزقت المسلمين، وفرّقت الأمة، وشتت الجموع، وجلبت الجهل والهوى، ونادت إلى المسلمين بالفشل.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانـــوه فهـــان ودنســوا محيــاه بالأطمـاع حتى تجهما

اللهم ردّنا إليك رداً جميلاً، وأصلح شأن المسلمين عامة يا رب العالمين.

وكتب

بدر بن علي بن طامي العتيبي

ضحى يوم الاثنين السادس والعشرين من رمضان ١٤٣٦هـ